

ردمد
٢٥١٨-٩٣٧١
ردمد الالكتروني
٢٥١٨-٩٣٦٠



دائرة الشؤون الإسلامية
الجمعية الإسلامية العالمية
فريق الشؤون الإسلامية
مركز الدراسات الإفريقية

مَجَلَّةُ دَرَسَاتِ افْرِيقِيَّة



مَجَلَّةُ فِصْلِيَّةٍ مُحَكَّمَةٍ
تُعْنَى بِشُؤُونِ الْقَارَةِ الْإِفْرِيقِيَّةِ
تَصَدِّرُ عَنْ مَرْكَزِ الدِّرَاسَاتِ الْإِفْرِيقِيَّةِ

العدد التاسع عشر
المجلد الثاني
ذو الحجة ١٤٤٦ هـ
حزيران - ٢٠٢٥ م



مواكب حكام افريقيا جنوب الصحراء ومجالسهم
القرن ٥-١٠هـ / ١١-١٦م





Journal Homepage: <http://studies.africansc.iq/>
ISSN: 2518- 9271 (Print) ISSN: 2518- 9360 (Online)

مواكب حكام افريقيا جنوب الصحراء ومجالسهم

القرن ٥-١٠هـ / ١١-١٦م

أ.د. بشار اكرم جميل
جامعة الموصل / العراق

ملخص البحث:

امتاز حكام بلاد السودان او كما يسميها المؤرخون المعاصرون والغربيون بافريقيا جنوب الصحراء في فترات حكمهم الوثنية ومن ثم الإسلامية بالاهتمام بالمراسم الملكية او السلطانية والتي كانت تظهر بشكل جلي في مجالسهم في القصور او تلك التي تتبعهم خلال خروجهم بموكب، وتلك الأمور سيتناولها البحث عبر عرض النصوص المتعلقة بتلك المسألة ومحاولة الإجابة عن تساؤل طرحه الكثير من الغربيين القائلين بعدم تأثر الافارقة بالحضارة الإسلامية، فيما نلمس بشكل جلي تلك المؤثرات الحضارية الإسلامية في مراسيم حكام افريقيا جنوب الصحراء .

تاريخ الاستلام:

٢٠٢٥ / ٤ / ٢٥

تاريخ القبول:

٢٠٢٥ / ٤ / ٣٠

تاريخ النشر:

٢٠٢٥ / ٦ / ١

الكلمات المفتاحية:

السودان/ البلاط/ مجلس/ مالي/
موكب

المجلد الثاني العدد (١٩)

شهر ذي الحجة - ١٤٤٦هـ

حزيران ٢٠٢٥م

The Processions and Councils of Sub-Saharan African Rulers (5th–10th Hijri / 11th–16th Century AD)

Prof. Bashar Akram Jameel
University of Mosul / Iraq

Absrract

The rulers of Sudan, or as contemporary and Western historians call it, sub-Saharan Africa, were distinguished in their pagan and then Islamic period by paying attention to royal or sultanic ceremonies, which were clearly evident in their meetings in the palaces or those that followed during their departure in procession, and these matters will be dealt with in the research through the presentation of texts related to those The issue and an attempt to answer a question raised by many Westerners who say that Africans are not influenced by Islamic civilization, while we clearly see those Islamic civilizational influences in the names of the rulers of sub-Saharan Africa.

Received:

25/04/2025

Accepted:

30/04/2025

Published:

1/6/2025

Keywords:

Sudan/court/council/
financial/procession

Journal of African Studies

volume (2)

Issue (19)

Dhu al-Hijjah 1446 H

المقدمة :

لم تكن المراسيم الخاصة بمجالس حكام بلاد السودان أقل مكانة وأبهة من تلك التي كانت موجودة في المشرق والمغرب الإسلامي، ولا سيما في المدة ما بعد القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي حينما توطد الإسلام في غرب افريقيا بوصول مجموعات كبيرة من التجار، ودخول المرابطين إلى عاصمة مملكة غانة، والذين نقلوا بدورهم الحضارة الإسلامية إلى تلك البلاد، فضلاً عما نقله التجار المسلمون الواصلين إليها تباعاً منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي .

وتكمن أهمية هكذا دراسة في كونها ستبين أثر الحضارة الإسلامية على شعوب افريقيا جنوب الصحراء، والذين تغير حالهم بعد اندماجهم في المجتمع الإسلامي الذي نقلهم من حياة البداوة إلى حياة الحضارة، وأصبحت تلك الصورة واضحة بشكل كبير بعد قيام دولة مالي الإسلامية في غرب افريقيا في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ورغم تأثر مجالس ومواكب الحكام الافارقة بالمشرق والمغرب الإسلامي إلا ان هناك ما يميز تلك المجالس والمواكب عن غيرها، مما جعلها تنفرد بأمور لا يمكن أن يتمتع بها غيرها .

والأهداف التي ينوي البحث تحقيقها تتمثل في إظهار تلك المراسيم ومدى تأثيرها بالإسلام ومحافظة البعض منها على سماته حتى بعد الدخول في الإسلام، وبيان مدى التقدم الحاصل في مجالس الحكام ومواكبهم هناك، فضلاً عن إسهام الرحلات التجارية والعلمية والدبلوماسية في نقل المراسيم السلطانية في المشرق والمغرب الإسلامي إلى افريقيا .

والفضاء الجغرافي الذي سيتناوله البحث يتمثل في المنطقة التي يحدها من الشمال الصحراء الافريقية الكبرى ومن الجنوب الغابات الاستوائية، ومن الشرق البحر الأحمر والمحيط الهندي، ومن الغرب المحيط الأطلسي، وقد سميت تلك المنطقة من قبل مؤرخي الغرب والمستشرقين باسم افريقيا جنوب الصحراء، فيما سميت من قبل

المؤرخين والجغرافيين المسلمين باسم بلاد السودان تبعاً لسواد لون بشرة السكان، والتسمية الثالثة التي اطلقت عليها ولاسيما مناطق غرب افريقيا هي بلاد التكرور والتي اكد عليها المؤرخين المصريين في مؤلفاتهم نسبة لإمارة التكرور الواقعة في تلك المنطقة . ومن الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع ولكن بشكل غير مباشر كتاب تاريخ الإسلام في افريقيا جنوب الصحراء لمؤلفه دريد عبد القادر نوري والذي تناول خلال الحديث عن الدول والممالك الإسلامية في افريقيا مجالس سلاطينها، كما تناول كتاب إمبراطورية مالي الإسلامية لإبراهيم علي طرخان في بعض صفحاته ذلك الأمر، وربما سيسهم هذا المقال في إعطاء صورة واضحة عن تلك المجالس والمواكب الخاصة بحكام افريقيا جنوب الصحراء .

المواكب والمجالس السلطانية:

أولاً : مجالس الحكام :

على الرغم من ان المراسيم الخاصة بمجالس حكام دولة غانة قبل الإسلام وبعده لم تكن بسيطة ومغمورة، إلا ان الأضواء لم تسلط عليها بشكل جيد بسبب عدم وجود نظام سياسي إسلامي واضح فيها حتى خلال حكم المرابطين لها (٤٦٩-٤٨٠هـ / ١٠٧٧-١٠٨٧م) الذين قضوا مدة حكمهم في عاصمة غانة ومدنها منهمكين في تثبيت الإسلام ودعم اركانها، وذلك لا يعني كما أسلفنا عدم وجود مراسم سلطانية، فقد وصفت غانة على انها من اعظم مدن السودان^(١)، فضلاً عن ادلة أخرى على غنى ملوكها وسعة عيشهم، إذ وصف حاكمها بأنه "ايسر من على وجه الأرض من ملوكها بما لديه من الأموال المدخرة من التبر المثار على قديم الأيام للمتقدمين من ملوكهم"^(٢).

وفي القصر الملكي في غانة كان هناك حجز كبير من تبر الذهب يعده ملوكها ثروة

(١) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمد، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، (القاهرة: د/ت): ٩٦ / ١.

(٢) أبو القاسم محمد بن حوقل، صورة الأرض، دار صادر (بيروت: د/ت)، ص ١٠١.

وطنية باقي حتى مع تبدل الحكام يربط الملك حوله فرسه - في إشارة لكبر حجمه - حينما يصل إلى قصره سفراء او حكام دول ومدن أخرى^(١)، كما يصف المؤرخ البكري تلك العاصمة التي كانت تسمى كومبي صالح - أي مدينة صالح - بأنها على بعد ستة اميال من المدينة الأولى التي يسكنها العامة، وتسمى مدينة الملك بالغابة لكثرة اشجارها، ومبانيها متصلة مبنية بالحجارة وخشب السنط، وقصر الملك يحوي قباب كثيرة، ويحيط بالقصر وكل المباني حائط يشكل سور للمدينة، فضلاً عن احتواء مدينة الملك على غابة وقباب يتواجد فيها سحرة الملك^(٢)، وحينما يكون هناك احتفال في غانة فإن جيش غانة يشارك في مواكب الاحتفال الملكية، ويصل عدد الجند المشاركين إلى مائتي ألف مقاتل فيهم أربعين ألف من الرماة^(٣). ويبدو ورغم المبالغة في عدد الجند المشاركين، ان مشاركة ذلك العدد الكبير من الجند يتم في احتفالات البلاد الكبيرة المقامة في أماكن خارجية مفتوحة .

فضلاً عن ذلك فإن لملك غانة مجلس خاص للنظر في المظالم، وذلك المجلس يكون في قبة يحيط بها عشرة خيول عليها ثياب مذهبة، ووراء الملك يقف عشرة من العلماء بأيديهم التروس المصنوعة من الجلود، وبأيديهم سيوف محلاة، كما يقف على يمين الملك أبناء حكام الإمارات التابعة له وقد ضفرت رؤوسهم بخيوط من الذهب مرتدين ثياب فاخرة، اما حاكم العاصمة فيجلس بين يدي الملك على الأرض وحوله يجلس الوزراء، ويقف على باب قبة الملك كلاب اصيلة ومدربة وفي اعناقها حبال من ذهب، وقبل وصول الملك إلى القبة بقليل يتم النقر على الطبول ليعلم العامة وأصحاب

(١) مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية (بغداد: ١٩٨٦)، ص ٢٢١؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة (بيروت: ١٩٨٠)، ص ٤٢٦.

(٢) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، (بيروت: ١٩٩٢): ٨٧١ / ٢ - ٨٧٢.

(٣) البكري، المسالك: ٨٧٥ / ٢.

الشكاوى بقدمه^(١).

وحينما قامت دولة مالي على انقاض دولة غانة سنة ١٢٤٠هـ / ١٢٣٨م بعد انتصار القائد سندياتا^(٢) على رئيس قبيلة الصوصو^(٣) الوثنية سومانجارو، بدأت ملامح التطور الحضاري الإسلامي تدخل في جميع مفاصل المؤسسة الإدارية ومن ثم إلى المجتمع ككل، فقد أصبح سلطان دولة مالي الإسلامية يجلس في قصره على مصطبة كبيرة من الأبنوس وعليها أنياب فيلة في جميع جوانبها، والسلطان يرتدي خلال جلوسه في قصره سراويل كبيرة لا يلبس مثلها أحد من رعيته، ويحمل سيف من ذهب وبجانبه قوس ونشاب، ويقف خلفه ثلاثين مملوك من الترك وغيرهم ممن جلب له من مصر بيد كل منهم مظلة من حرير عليها شبه قبة وطائر من ذهب، ويجلس أمراؤه حوله من اليمين ومن الشمال ثم دونهم قادة جيشه، وبين يديه سيافه وشخص آخر يسمى الشاعر يكون سفيراً بينه وبين الناس يتلقى مظالمهم ويرد عليها، وأمامه أناس بأيديهم طبول يدقون بها ويرقصون، وخلفه علمان كبيران وأمامه فرسان مُعدان لركوبه متى شاء^(٤).

(١) البكري، المسالك: ٢/ ٨٧٣.

(٢) سندياتا: ويسمى أيضاً ماري جاطة وهو مؤسس إمبراطورية مالي الإسلامية، بعد انتصاره على الصوصو وطردهم منها، وقد ذكره ابن خلدون قائلاً: «وكان ملكهم - ملك مالي - الذي تغلب على صوصو وأفتتح بلادهم وأنتزع الملك من أيديهم أسمه ماري جاطة، ولم يتصل بنا نسبه، وقد مُلك عليهم خمساً وعشرين سنة فيما ذكروه». ينظر: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (بيروت: ١٩٥٦) ٤١٣/٥:

(٣) الصوصو: هم فرع من الفولانيين هاجروا من بلاد تكرر وكونوا طبقة حاكمة في إقليم كانجبا التابع لإمبراطورية غانة وقد بقوا على وثنتهم ودفعوا الجزية لحكام غانة حتى ظهر ضعف غانة وتدهور نفوذها السياسي أعلن ملك الصوصو سومانجارو سنة ٥٥٩٩هـ / ١٢٠٣م استقلاله عن غانة واخذ يهاجمها. ينظر: دريد عبد القادر نوري، تاريخ الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء القرن ٤-١٠هـ / ١٠-١٦م، الموصل، ١٩٨٥، ص ٢٩١.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى: ٥/ ٣٠٠.

ومن العادات المتبعة في مجلس سلطان دولة مالي انه إذا ما عطس أحد الحضور متعمداً فسوف يضرب ذلك الرجل ضرباً شديداً ولا يسامح في ذلك أحد، وإذا ما شعر بالعطاس فعليه أن ينبطح أرضاً حتى لا يعلم به أحد، أما الملك فإنه إذا ما عطس ضرب الحاضرون على صدورهم بأيديهم، فضلاً عن ذلك فلا يحق لأحد الدخول على الملك متعللاً كائناً من كان ومن لم يخلع نعليه قُتل، وإذا دخل عليه أحد من أمرائه أو غيرهم وقف أمامه زماناً حتى يكلمه^(١). ويبدو ان تأثير الحضارة الإسلامية في القضاء على تلك العادات بدا واضحاً ولا سيما بعد القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي حينما اختفت بشكل كبير تلك العادات من المراسيم السلطانية للحكام.

وعند جلوس سلطان دولة مالي الإسلامية في قبته يقوم باستقبال حاشيته ورعيته فإذا ما دعا أحدهم نزع المدعوثابه واستبدالها بثياب رثة ونزع عمامته وجعل شاشية^(٢) وسخة بدلها، ودخل رافعاً ثيابه إلى نصف ساقه وتقدم بذلة ومسكنة وضرب الأرض بمرفقيه ضرباً شديداً ووقف كالراكع يسمع كلام السلطان، وحينما يكلم السلطان أحد الحضور وأراد الجواب فعليه وضع ثوبه على ظهره ووضع التراب على رأسه، وإذا تكلم السلطان في مجلسه يضع الحاضرون عمامتهم عن رؤوسهم وينصتوا للكلام، وإذا قام أحد القادة أو الأمراء فيذكر أفعاله طيلة خدمته للسلطان فيقول فعلت كذا وكذا فيؤكد كلامه من له علم بها، وعملية التصديق والتأكيد تتم بأن ينزع وتر قوسه ويتركها كما يفعل عند رمي السهم، وإذا قال السلطان للمتكلم صدقت أو شكره نزع ثيابه ولوث

(١) القلقشندي، صبح الأعشى: ٣٠٠ / ٥.

(٢) الشاشية: وهي غطاء للرأس مصنوعة على الاغلب من الصوف أو من الحرير وربما من الذهب كذلك التي يرتديها حكام بلاد السودان، وفي الأصل كان يرتديها سكان المغرب الإسلامي ولا سيما في افريقية، فقد كانت تصنع في مدينة القيروان منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، ويبدو انها انتقلت إلى افريقيا جنوب الصحراء من هناك بواسطة التجار والمهاجرين والدعاة. ينظر: رجب عبد الجواد إبراهيم وآخرون، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية وحتى العصر الحديث، دار الآفاق العربية (القاهرة: ٢٠٠٢)، ص ٢٥٣.

جسده بالتراب وذلك يكون من الأدب عندهم^(١).

وبعض هذه التقاليد التي اتبعها حكام بلاد السودان لم تكن من ابتكارهم او غير مألوفاً في المجتمع الإسلامي، فقد كانت متبعة بشكل او بآخر في المشرق الإسلامي، فمثلاً لم يتجرأ أحد على لبس العمامة الطويلة على رأسه حينما كان الحجاج بن يوسف الثقفي يضعها هو على رأسه، وذلك الأمر يثبت أن أولئك الحكام كانوا يحبون التميز عن الرعية^(٢)، وفي مجالس خلفاء وسلاطين المشرق الإسلامي لا يحق لأحد أن يضحك من حديثهم إذا تحدثوا لأن الضحك بحضرة الملك جرأة عليه، كما لا يحق لجلسائهم أن يظهروا التعجب أو عدم القناعة من كلامهم، ومن حق الملك إذا حضره سماره أو محدثوه أن لا يُحرك أحد منهم شفثيه مبتدئاً، ولا يقطع حديثه بالاعتراض فيه وإن كان نادراً شهياً، وإن يكون غرضهم حُسن الاستماع واشتغال الجوارح بحديثه^(٣).

وكان مجلس حاكم أي مدينة من مُدن السودان فيكون بسيطاً قياساً لمجالس السلاطين والحكام في المشرق والمغرب الإسلاميين، فمجلس حاكم مدينة ايوالا^(٤) التسمى (فربا حسين) عبارة عن سقيف فيه بساط يجلس عليه الحاكم وأعوانه بين يديه

(١) ابن بطوطة، تحفة النظار: ٢/ ٢٧٧-٢٧٨.

(٢) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: احمد زكي باشا، (القاهرة: ١٩١٤م)، ص ٤٥.

(٣) الجاحظ، المصدر نفسه، ص ١١٠-١١١.

(٤) ايوالا^(٤) التنى: اختلف المؤرخون في تسميتها فبعضهم يسميها (ايوالا^(٤) التنى). ينظر: ابن بطوطة، الرحلة: ٢/ ٦٧٥ ؛ المقرئ، نفع الطيب: ٥/ ٢٠٥. وآخر يسميها (ولاتن). ينظر: ابن خلدون، العبر: ٧/ ١١٧. في حين يسميها السعدي (ولات). ينظر: تاريخ السودان، ص ٢١. ويسميها الوزان (ولاته). ينظر: وصف أفريقيا: ٢/ ١٦١. وولاته مدينة من مدن السودان تقع على مسافة (٤٥٠ كم) غرب تنبكتو. ينظر: الوزان، وصف أفريقيا: ٢/ ١٦١ ؛ السعدي، تاريخ السودان، ص ٢٢ ؛ نوري، تاريخ، ص ٣٠٢.

بأيديهم الرماح والقسي وكبار قبيلة مسوفة^(١) وراءه والتجار بين يديه^(٢)، وحينما وصل الرحالة ابن بطوطة إلى تلك المدينة التقى بمشرفها (منشا جو) الذي لم يرق للرحالة مجلسه ولا ضيافته^(٣).

وفي كل يوم جمعة يجلس سلطان دولة مالي (منسا سليمان)^(٤) للنظر في مظالم الرعية فضلاً عن سماحه لهم بتقديم مظالمهم في كل حين، ففي أحد أيام الجمعة قام أحد التجار وأسمه (أبو حفص) فقال: "يا أهل المسجد أني أشهدكم أن منسا سليمان في دعوتي إلى رسول الله ﷺ، فخرج إليه رجال من مقصورة السلطان فقالوا له من ظلمك؟ فقال: حاكم مدينة ايالاتن أخذ مني ستائة مثقال ذهب وأراد أن يردها مئة فقط" فبعث إليه السلطان في اليوم التالي هو وغريمه أمام القاضي ورد عليه حقه وعزل الحاكم^(٥).

ولسلطان دولة مالي تقليد يتبعه أيام عيدي الفطر والأضحى فيلبس الطيلسان^(٦) عند خروجه لصلاة العيد وهو يحیی الناس وهم يرتدون ملابس نظيفة وعلى رأسهم الطيلسان كسلطانهم باستثناء الخطيب والقاضي والفقهاء فهم يلبسونه طيلة أيام السنة، وقبل بدء الصلاة يصل السلطان والناس يهللون ويكبرون فيدخل الخيمة ليصلح من

(١) مسوفة: وهي إحدى القبائل التابعة لصنهاجة المغربية، كانوا ينتقلون في الصحراء قبل استقرار بعضهم في مدن كبيرة كمدینة تمبكتو. ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٩٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٧٠.

(٢) تحفة النظر: ٢/ ٢٧١ وكلمة فربا تعني نائب السلطان ينظر: تحفة النظر، نفس الجزء والصفحة.

(٣) تحفة النظر: ٢/ ٢٧١.

(٤) منسا سليمان: وهو سلطان دولة مالي الإسلامية للحقبة (٧٤٢-٧٦٢هـ/ ١٣٤١-١٣٦٠م)، ويُعد من السلاطين الأقوياء للدولة بعد أخيه السلطان موسى. ينظر: الشكري، الإسلام، ص ٢٦٢.

(٥) ابن بطوطة، تحفة النظر: ٢/ ٢٨٠.

(٦) الطيلسان: بفتح الطاء وسكون الياء وفتح الـام والسين كلمة فارسية معربة واصلها في الفارسية تالشان، وفي العربية هو ضرب من الأكسية والجمع طيالس وطيالسة، وعلى الأغلب هو كساء مدور اخضر لا اسفل له يرتديه الخواص من العلماء والمشايع. ينظر: إبراهيم، المعجم العربي، ص ٣٠٦.

شأنه ويدخل للمُصلّى، وبعد انتهاء الخطبة ينزل الخطيب من على المنبر ويجلس بين يدي السلطان ويبدأ بوعظه ونصحه ويذكره بطاعة الله ولزوم أوامره^(١).

ويجلس سلطان دولة مالي (منسا سليمان) بعد صلاة العصر أيام عيدي الفطر والأضحى في قصره على منصة تسمى (البنبي)^(٢) ويدخل عليه الحرس الخاص يحملون السيوف والرماح المحلاة بالذهب، ويقف عند رأسه أربعة من الأمراء واجبههم إزاحة الحشرات من ذباب وغيرها عن وجهه وفي أيديهم حلية من الفضة تشبه ركاب السرج، ويجلس قادة الجند والقاضي والخطيب في أماكنهم قرب السلطان، ويأتي مترجم السلطان والملقب بـ (دوغا) وبرفقته نسائه الأربع وجواريه وهن نحو مئة يرتدين الملابس الجميلة وعلى رؤوسهم عصائب من الذهب والفضة، ويجلس دوغا على كرسي مخصص له ويضرب على آلة مصنوعة من القصب ويغني شعراً يمدح فيه السلطان ويذكر غزواته، ويشاركه في غنائه زوجاته وجواريه وغلماؤه الذين يزيد عددهم عن الثلاثين ويرتدون جباب حمر وعلى رؤوسهم اغطية رأس بيض وكل واحد منهم متقلد طبله، ويأتي الصبيان فيلعبون بالسيوف ويتقبلونهم ودوغا الذي يأمر السلطان بتكريمه بصره فيها مائتا مثقال من التبر^(٣) فيقوم بدوره بنثرها على رؤوس الناس، فيقوم قادة الجند بتكريم دوغا كل حسب رغبته^(٤).

وللشعراء دور كبير في مجلس السلطان، إذ يقومون بنصحه في يوم العيد،

(١) ابن بطوطة، المصدر نفسه: ٢/ ٢٧٩.

(٢) البنبي: وهي مصطبة لها ثلاث درجات مفروشة بالحرير وعليها وسائد يجعلها السلطان خلفه وتحت يديه. ينظر: تحفة النظار: ٢/ ٢٧٧.

(٣) التبر: وهو المادة الخام للذهب (أي رمل الذهب) الغير مسبوك ويوجد في بلاد السودان في أماكن متعددة كمدينة ونقارة في الغرب ومدينة سفالة في شرق أفريقيا ومناطق أخرى. ينظر: محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحسني الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، عالم الكتب (بيروت: ١٤٠٩هـ)، ص ١٢٠.

(٤) ابن بطوطة، تحفة النظار: ٢/ ٢٧٩.

ويحضرون إلى مجلسه بعد انتهاء الترجمان دوغا من ألباه الاستعراضية وهم مرتدين ملابس من الريش واضعين على رؤوسهم قبعة من الخشب لها منقار أحمر، ويدأون بقراءة أشعارهم التي تحوي نصائح للسلطان وتذكير بمن سبقه منهم وكيف كان فيهم الجيد والسيئ، وما أن ينتهوا حتى يصعد كبيرهم إلى مجلس السلطان ويضع رأسه على حجر السلطان ثم على كتفه الأيمن فالأيسر، وذلك الفعل والتقليد قديم في بلادهم سابق للإسلام^(١).

ويرتدي سلطان دولة مالي في ذلك اليوم شاشية ذهب مشدودة بعصابة من ذهب لها أطراف مثل السكاكين رقاق وطولها أزيد من شبر، كما يرتدي جبة حمراء رومية تسمى (المطنفس)، وخلفه ثلاثمائة عبد يحملون السلاح ويسير معهم المغنون يحملون الذهب والفضة، وحال وصوله إلى النبي يقف فينظر للناس ثم يصعد برفق كما يصعد الخطيب على المنبر وعند جلوسه تضرب الأبواق والطبول ويخرج ثلاثة من العبيد مسرعين فيدعون النائب وقادة الجند فيدخلون ويجلسون، ويقف دوغا بالباب وسائر الناس بالشارع تحت الأشجار^(٢).

ويفعل الترجمان دوغا كما يفعل في عيدي الفطر والأضحى بعد صلاة العصر^(٣)، وتشابهت مجالس العزاء السلطانية في بلاد السودان مع مثيلاتها في المغرب الإسلامي، فقد حظر الرحالة ابن بطوطة مجلس عزاء السلطان المريني أبي الحسن^(٤) الذي أقامه سلطان

(١) ابن بطوطة، تحفة النظر: ٢/ ٢٨٠.

(٢) تحفة النظر: ٢/ ٢٧٧.

(٣) ابن بطوطة، المصدر نفسه: ٢/ ٢٧٩.

(٤) أبو الحسن: هو السلطان المريني علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق الملقب بأبي الحسن المنصور بالله، وهو يعرف عند العامة بالسلطان الأكحل لسمره لونه، أمه حبشية، وقد بويع بفاس بعد وفاة أبيه سنة ٧٣١هـ/ ١٣٣٠م بعهد منه، وقد استنجد به بنو الأحمر حينما احتل الإفرنج جبل طارق فلبى نداءهم وأرسل الجيوش وأفتتح الجبل وحصنه، استمر في الحكم حتى خلعه أبنه أبو عنان. ينظر: الزركلي، الأعلام: ١٢٦/ ٥.

دولة مالي منسا سليلان مشيراً إلى ختم القرآن الكريم من قبل القراء خلال مراسم العزاء وحضور الأمراء والفقهاء والقاضي وخطيب الجامع بعد ان استدعاهم السلطان^(١).

كما أشار الرحالة ابن بطوطة إلى بساطة مجلس سلطان مدينة تكدا^(٢) وكرمه، فقد خرج للقائه على فرس بدون سرج وهي عاداتهم في الخروج للقاء الفقهاء وطلبة العلم والأشراف القادمين من بقية مدن الإسلام، وكان برفقة السلطان أبناء أخته وهم ورثة عرشه، وبعد السلام على الرحالة انزله في بيت الضيافة وقدم له خروف مشوي^(٣).

ومكان جلوس سلطان دولة مالي الإسلامية يصفه الرحالة أين بطوطة بأنه ذو قبة مرتفعة بابها بداخل داره يقعد فيها أكثر الأوقات ولها من جهة قاعة استقبال الضيوف ثلاثة نوافذ من الخشب مغطاة بصفائح الفضة وتحتها ثلاثة مغشاة بصفائح الذهب أو فضة مذهبة وعليها ستور ترفع أيام جلوسه في القبة فيعلم الجميع أنه سيجلس، وحينما يصل ويجلس يخرج من إحدى النوافذ قطعة حرير ربط فيها منديل مصري مطرز بعلامة، وتضرب حالما يراه الناس الأبواق والطبول ويخرج من باب القصر ثلاثمائة عبد في أيدي بعضهم القسي، وفي أيدي آخرين الرماح القصار والدرق^(٤)، فيقف أصحاب الرماح ميمنة وميسرة ويجلس أصحاب القسي، ثم يؤتى بفرسين ملجمين وكبشين يذكرون أنها ينفعان من العين، وعند جلوسه يذهب ثلاثة من عبيده مسرعين فيدعون نائبه (قنجا موسى) وقادة الجند والخطيب والفقهاء ويجلسون أمام الجند حملة السلاح في القاعة، ويقف دوغا الترجمان على باب تلك القاعة وهو لابس ثياب فاخرة وعلى رأسه عمامة

(١) تحفة النظر: ٢/ ٢٧٥.

(٢) تكدا: هي مركز هام في طريق القوافل بين مالي ومصر وتقع على بعد ٩٧ ميل (١٩٤ كم) شمال غرب اغاديس وقد اشتهرت بمعادن النحاس ودورها مبنية بالحجر الأحمر وهي تبعد (٤٠ يوم) (١٩٢٠ كم) عن برنو. ينظر: ابن بطوطة، ص ٦٩٦.

(٣) ابن بطوطة، تحفة النظر: ٢/ ٢٨٩.

(٤) الدرقي: هو نوع من انواع الدروع. وتأتي هنا كمقعد للجلوس مصنوع من الجلد. أنظر: ابن منظور، لسان العرب: ١٠/ ٩٥.

ذات حواشي وهو متقلد سيفه وفي رجليه الخف الذي لا يلبسه غيره في ذلك اليوم، وفي يده رحمان صغيران أحدهما من ذهب والآخر من فضة، ويجلس الجند والولادة والفتيان وأبناء قبيلة مسوفة خارج القاعة، وكل قائد للجند يحمل حقيبة سهامه على كتفيه وقوسه بيده ومعه مجموعة تحمل الرماح والقسي والأبواق المصنوعة من أنياب الفيلة والطبول وآلات الطرب المصنوعة من القصب والقرع، ويقف تحت الطيقان داخل القاعة رجل يكلم السلطان بما جاءه من دواغ الذي بدوره يسمع من الآخرين ليبلغ ذلك الرجل^(١).

ومن عادة أهل مقديشو استضافة الفقهاء في دار القاضي، فقد استقبل قاضي مقديشو الرحالة ابن بطوطة واصطحبه إلى قصر السلطان الذي كان يُلقب بالشيخ وهو (أبو بكر بن الشيخ عمر) الذي استقبله بحفاوة وأنزله دار الطلبة وقدم له الطعام والشراب، ثم حضر معه في اليوم التالي مجلسه الذي ضم فضلاً عنه القاضي والوزراء وعلية القوم وتصدى لمسألة حل مشاكل العامة^(٢).

وفي يوم الجمعة من كل أسبوع يتهيأ شيخ مدينة مقديشو للصلاة في الجامع، ويصف الرحالة ابن بطوطة ذلك بقوله: "جاءني قاضي مدينة مقديشو ومعه الطلبة وأحد وزراء الشيخ وأتوني بكسوة وهي فوطة خز يشدها الإنسان على وسطه عوض السراويل فأنهم لا يعرفونها، ودراعة من المقطع المصري معلمة، وفرجية من المقدسي مبطنة وعمامة مصرية معلمة، واتوا لأصحابي بكسي تناسبهم واتينا الجامع فصلينا خلف المقصورة"، وبعد وصول ابن بطوطة ومن معه للجامع خرج الشيخ (سلطان مقديشو) من المقصورة وسلم عليه ورحب به بلغتهم فترجم القاضي قوله: "أن قدمت خير مقدم وشرفت بلادنا وانستنا"، وبعدها تقدم السلطان نحو صحن المسجد ووقف عند قبر والده المدفون هناك وسلم على الوزراء وقادة الجند وعادتهم بالسلام أن يضع الرجل سبابته على الأرض ثم يجعلها على رأسه كما يفعل أهل اليمن^(٣).

(١) تحفة النظر: ٢/ ٢٧٦-٢٧٧.

(٢) ابن بطوطة، تحفة النظر: ١/ ٢٣١-٢٣٢.

(٣) تحفة النظر: ٢/ ٢٣٠.

كما يعقد سلطان مدينة مقديشو مجلساً لسماع العامة يوم السبت من كل أسبوع فيجلسون في سقائف مقابل الدار، في حين يدخل إلى دار السلطان القاضي والفقهاء والمشايع والشرفاء والحجاج ليجلسوا في قاعة ثانية غير التي جلس فيها السلطان ويجلسون على مقاعد مخصصة لكل واحد منهم يعرفونها دون أن يأخذ أحدهم مكان الآخر حتى يرسل السلطان في طلبهم فيدخلون عليه، فيجلس القاضي على يسار السلطان، ويدخل الفقهاء ليجلس كبرائهم بين يديه ويخرج البقية بعد أن يسلموا عليه باستثناء الضيوف منهم فيجلسون على يمينه، وكذلك يفعل الحجاج والمشايع، وبعدها يدخل الوزراء والأمراء وقادة الجُند ليسلموا وينصرفوا^(١).

وبعد ذلك يؤتى بالطعام ليأكل الجميع وكذلك أصحاب الحاجات في الدار الثانية للسلطان، وبعدها يخرج السلطان للعودة لداره ومعه القاضي والوزراء وكاتب السر وأربعة من كبار الأمراء للفصل بين الناس فما كان متعلقاً بالأحكام الشرعية حكم فيه القاضي وما كان من سوى ذلك حكم فيه أهل الشورى وهم الوزراء والأمراء، وما يحتاج لمشورة السلطان كتبوا إليه فيخرج الجواب لهم على ظهر البطاقة التي كتبوا عليها^(٢).

ثانياً: مواكب الحكام:

لم يكتف الملك الغاني في جلوسه في القبة الملكية للنظر في المظالم، وإنما كان يخرج في موكب يبدأ بمسير قادة جنده إلى قصره ويتقدم كل منهم طبل يضرب طوال الطريق حتى يصلوا إلى قصر الملك فيتجمعوا لينطلق بعدها الملك ويتبعه قاداته نحو أزقة المدينة مروراً بين صفوف الناس، فمن كانت له مظلمة يتقدم إلى موكب الملك ولا يذهب حتى تُحل مظلمته، وبعد الانتهاء يعود الملك إلى قصره على أن يخرج بموكب مماثل بعد العصر حينما يذهب حر الشمس^(٣).

(١) ابن بطوطة، تحفة النظار: ٢/ ٢٣١.

(٢) نفسه: ٢/ ٢٣٢.

(٣) الادريسي، نزهة المشتاق: ١/ ٢٢.

واختيار خيل الحاكم يجب أن يتم بإتقان فيختار الفرس التي لعابها قليل وسليمة من العيوب قليلة العبث برأسها وقليلة الصهيل، كما كان واجباً على من يسير معه أن يكون تحت الريح ليكون هو في رأسها فلا يتأذى بالغبار الذي يثيره الفرس ولا بالروث وروائحه، وأن يأخذ تابعه الجانب المقابل للشمس ليكون الخليفة والمقربين منه مستدبرين لها^(١).

إن ابرز مواكب سلطاني هو مواكب حج السلطان موسى بن أبي بكر التكروري المعروف بمنسا موسى، والذي تم التجهيز له خلال مدة طويلة انتهت بخروج السلطان للحج سنة ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م متبعاً الطريق الصحراوي للوصول لمصر ومتجنباً في الوقت ذاته الطريق الساحلي الذي قُتل فيه قبل ٢٤ عاماً حاكم دولة مالي (ساكورا)^(٢)، فتحرّكت قافلة منسا موسى من العاصمة المالية نياي (Niani)^(٣) ماراً بمدينة تنبكتو (Timbuktu)^(٤) حتى قيل أن نهاية القافلة في تنبكتو وبدايتها في العاصمة نياي،

(١) الصابى، رسوم، ص ٨٦.

(٢) ساكورة: هو أحد حكام دولة مالي الإسلامية لكنه لا ينتمي إلى الأسرة الحاكمة وعده البعض مغتصباً للحكم طيلة الفترة (٦٨٤-٧٠٠هـ / ١٢٨٥-١٣٠٠م)، إلا أن عهده شهد فتوحات كبيرة أعادت للإمبراطورية هيبتها من خلال استعادته السيطرة على بلاد (كوكو) التي خرجت عن طاعة الدولة. ينظر: ابن خلدون، العبر: ٥ / ٤٩٤.

(٣) نياي: عاصمة دولة مالي الإسلامية والتي أخذت الدولة اسمها منها ثم حُرف إلى مالي، وكان سنداياته قد حول العاصمة المالية من جارب في كانجبا إليها. يُنظر: عبد الرحمن زكي، تاريخ الدول الإسلامية السودانية، المؤسسة العربية الحديثة، (القاهرة: ١٩٦١)، ص ٩٧.

(٤) تنبكتو: مدينة في السودان الغربي تقع عند الحافة الجنوبية لمنحنى نهر النيجر، وهي حلقة وصل بين الصحراء الكبرى والسودان الغربي، تشير أغلب الآراء أنها تأسست في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي على يد الطوارق. ينظر: الهادي المبروك الدالي، العلاقات بين مملكة مالي الإسلامية وأهم المراكز بالشمال الأفريقي، مسحوب من شبكة الأنترنت موقع قبائل عرب أزواد، ص ١٦.

وبعدها تحركت بداية القافلة نحو مدينة ولاته (Walata) ثم نحو تغازا (Taghaza)^(١) وصولاً نحو مدينة توات (Tuwat)^(٢) ومنها نحو مدينة غدامس (Ghdames)^(٣) ليسلك بعدها الطريق الصحراوي وصولاً إلى إهرامات الجيزة^(٤)، ويؤكد ابن خلدون سلوك رحلة منسا موسى للطريق الصحراوي بقوله "ولما خرج منسا موسى من بلاد المغرب للحج سلك طريق الصحراء"^(٥). ويبدو من خلال الطريق الذي اتبعته القافلة تيقظ الجانب الأمني لدى السلطان وحاشيته والتي تجنبت المرور بالساحل لتتخلص من هجمات المعتدين، كما أن زيادة عدد المسافرين وضخامة القافلة مدعاة لرسم الهيبة على تلك القافلة وتجنبيها الهجمات.

وعند مدينة ولاته انضم لركب حج منسا موسى حجاج تلك المدينة الذين اعتادوا على التحرك نحو مصر في بداية شهر ربيع الأول، ليواصل الجميع بعدها التوجه نحو القاهرة لالتحاق بركب الحاج المصري، وقد أكد ابن بطوطة ذلك الأمر خلال

(١) تغازا: وتكتب تغازة وتغازى وهي إحدى مناجم الملح في الصحراء الكبرى والتي كانت المصدر المهم لتزويد بلاد السودان بتلك المادة، وقد شهدت تلك المنطقة أشد أنواع الصراع بين حكام المغرب الإسلامي من السعديين واسحق الثاني حاكم مملكة السنغاي في القرن العاشر الهجري. ينظر: عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الاسقيين، (الجزائر: د/ت)، ص ٥١-٥٢.

(٢) توات: وهي إحدى مدن المغرب الإسلامي القريبة من وادي درعة، سميت كذلك تحريفاً للكلمة الأصلية تواتي، وكان القائد عقبة بن نافع الفهري قد مر بها خلال فتوحاته للمغرب. ينظر: ابن بطوطة، تحفة: ٢/ ٥٤٢.

(٣) غدامس: هي مدينة كبيرة مسكونة بعدد كبير من السكان تقع في جنوب المغرب متداخلة مع بلاد السودان وكان عقبة بن نافع الفهري قد افتتحها سنة ٤٢ هـ / ٦٦٢ م. ينظر: الوزان، وصف افريقيا: ١٤٦/٢.

(٤) محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت الكرمني التنبكتي، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور، وقف على طبعه هوداس ودولافوس، مطبعة بردين، (أنجة: ١٩١٣)، ص ٣٣.

(٥) ديوان المبتدأ: ٥/ ٩٣٢.

زيارته للسودان الغربي عام ١٣٥٣هـ / ١٣٥٢م مشيراً إلى أنه حينما قرر العودة نحو المغرب وعدم إكمال سفارته في بلاد السودان بُلغ من قبل السودان أن العودة تكون مع حجاج مدينة ولاته المتجهين نحو غدامس ومن ثم القاهرة بعد أن يجتمع بهم حجاج الداخل السوداني^(٦).

أراد منسا موسى من خلال موكبه الذهاب للحج والمار بمصر أن يظهر لحكامها المماليك التزامه الديني^(٧)، إذ رفض تقبيل الأرض بين يدي السلطان المملوكي في مصر والسجود له قائلاً: أن السجود لله وحده، مما يدل على قوة الأيمان وترك العادات القديمة^(٨)، وخلال التواجد في القاهرة اطلع السلطان ومن معه من الحجيج السودان على الالتزام الديني لسكان المدن التي مروا بها^(٩)، لا بل تميزوا في بعض تصرفاتهم على من سبقهم في الإسلام من حكام وشعوب تلك المدن، فلم يكن الحاج القادم من بلاد السودان أقل التزاماً ونظافة وحسن مظهر من إخوانه القادمين من أماكن أخرى، فكان السلطان ومن معه من الحجيج مرتدين لأفضل الملابس وأنظفها، ملتزمين بإعطاء الصدقات وأعمال البر^(١٠)، وكان أولئك الحجيج يقيمون حيناً بالأزهر يتلون القرآن

(٦) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٣٧.

(٧) ابن بطوطة، تحفة النظار: ٤ / ٢٦٤؛ فوزية يونس فتاح، التأثيرات الحضارية العربية الإسلامية على السودان الغربي، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، (جامعة الموصل: ١٩٩٤)، ص ٨٨.

(٨) أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، مسالك الإبصار في ممالك الأمصار، تحقيق وتعليق: مصطفى أبو ضيف أحمد، ط ١، (الرباط: ١٩٨٨)، الباب التاسع، ص ٧٢.

(٩) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، (الدار البيضاء: د/ت: ١ / ١٥١-١٥٢؛ دريد عبد القادر نوري، دور الحج في ربط السودان الغربي بمصر بعد القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، بحث منشور في مجلة رسالة الخليج العربي، العدد التاسع، (الرياض: ١٩٨٣)، ص ٢٥٦.

(١٠) ابن خلدون، ديوان المبتدأ: ٦ / ٤١٥-٤١٦؛ العمري، مسالك الأبصار، الباب التاسع، ص ٧٠.

الكريم ويطلعون على الكتب الدينية ويلتقون بالمسلمين في مصر ويحتكون بهم^(١)، ويتلقون منهم عاداتهم وتقاليدهم وشكل ملابسهم وعمرانهم^(٢)، فضلاً عن ذلك فقد اسهمت رحلة حج منسا موسى في إضافة لون جديد للألوان المحببة لدى السكان، فبعد ان كان اللونان الأسود والأزرق مفضلان لدى المجتمع الإسلامي السوداني منذ عهد المرابطين، أُضيف إليهما اللون الأخضر بعد عودة منسا موسى من الحج، إذ تم اتخاذه شعاراً للدولة^(٣)، كما ارتدى الحكام في بلاد السودان القلنسوة^(٤). فكانت مواكب السلاطين السودان فضلاً عن ضخامتها والابهة المحيطة بها تحقق مكاسب للمسلمين في افريقيا من خلال توطيد العلاقات الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية مع المشرق والمغرب الإسلامي.

وخير من وصف مجالس ومواكب سلاطين السودان الشرقي الرحالة ابن بطوطة خلال زيارته للمنطقة، والتي زار خلالها مدينة مقديشو^(٥) التي سميت بمدينة الإسلام في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي^(٦) بعد أن سيطرت على معظم مدن الساحل الشرقي الأفريقي ونشرت الإسلام بين سكانه وأقامت حكماً يقوم على

(١) جون لويس بوركهارت، رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان، ترجمة: فؤاد أندراوس، أشرف على نشره: محمد شفيق غربال، (القاهرة: د/ت)، ص ٤٠.

(٢) ابن خلدون، ديوان المبتدأ: ٧/ ٤١٦.

(٣) محمد الغربي، بداية الحكم المغربي للسودان الغربي، إشراف: نيقولا زيادة، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، (الكويت: ١٩٨٢)، ص ٦٠٩.

(٤) كعت، تاريخ الفتاش، ص ٤٠.

(٥) مقديشو: مدينة في أول بلاد الزنج جنوب اليمن في بر البربر وهؤلاء البربر غير البربر الذين هم بالمغرب لأنهم سود يشبهون الزنوج وهم جنس متوسط بين الحبش والزنوج، ومدينة مقديشو على ساحل البحر. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٥ / ١٧٣.

(٦) ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، (بيروت: ١٩٧٠)، ص ٨٢.

الشورى وتطبيق الشريعة الإسلامية^(١)

وفي باب كرم سلطانها أبو المواهب وحسن صنيعه مع الفقراء أنه وعند خروجه برفقة ابن بطوطة من صلاة الجمعة استوقفه رجل فقير طالباً مساعدته، فقال له الشيخ (لبيك ما حاجتك)، قال (أعطني هذه الثياب التي عليك) فقال له: (نعم أعطيكها) فقال الفقير (الساعة) قال الشيخ (نعم الساعة) وعاد إلى المسجد ليدخل دار الخطيب وينزع ثيابه ويلبس ثياب أخرى، وما أن استلم الفقير الملابس حتى أعادها لولي عهد الشيخ وأبنة الذي عوض الفقير بعشرة رؤوس من العبيد، ثم منحه الشيخ عشرة أخرى وحملين من العاج^(٢).

وعند خروجهم من المسجد لبس هو والقاضي وابن بطوطة بأرجلهم ومشى البقية خُفاة، ورفع فوق رأس السلطان أربع مظلات من الحرير وفوق كل منها صورة طائر من الحرير وعلى رأسه عمامة كبيرة، وضربت الطبول والأبواق خلال مسيره من المسجد وحتى وصوله قصره يرافقه جميع حاشيته ووزرائه الذين بقوا معه حتى صلاة العصر^(٣).

وقبل انسحاب شيخ مقديشو إلى قصره يشاهد ومن معه استعراضاً لفرقة من الجيش، فيأتي الجُند ليقفوا صفوفاً بقدر مراتبهم ثم تضرب الطبول والأبواق فلا يتحرك من يسمعها ويقف بمكانه، وعند الانتهاء من ذلك يسلم الجُند بأصابعهم وينصرفوا^(٤).

وفي ممالك الطراز الإسلامي في الحبشة ولاسيما مملكة اوفات، كان يتلقب ملكها بلقب (قاط)^(٥)، وملك تلك المملكة حينما يخرج إلى مكان ما يركب بغله فيتبعه غلامه

(١) آرنولد، الدعوة، ص ٣٧٨.

(٢) ابن بطوطة، المصدر نفسه: ٢٣٣/١.

(٣) ٢٣١/٢.

(٤) تحفة النظر: ٢٣١/٢.

(٥) تولى عرش اوفات في تلك الفترة عدة ملوك كان من بينهم حق الدين الأول الذي أسره ملك

ليتكفل بخدمة بغله، أما إذا ما ركب فرساً فلا يتبعه أحد^(١). وإذا مشى على قدميه يتوكأ على رجلين من خاصته، وإذا ما جلس فإنه يجلس على كرسي حديد علوه أربعة أذرع^(٢)، ويجلس أكابر الأمراء حوله على كراسي أقل ارتفاعاً من كرسيه، أما بقية الأمراء فهم وقوف، ويحمل رجالان على رأس الملك السلاح، وينفرد ملكها عن بقية ملوك الممالك السبع بأنه إذا ما ركب على فرسه يُحمل على رأسه جتر حرير^(٣) من قبل أحد غلمانه، كما يتقدم موكبه الحُجّاب والنقباء لفتح الطريق، وتُضرب أمامه الشبابة^(٤) والأبواق المصنوعة من الخشب، وفي رؤوسها قرون البقر، وتضرب معها الطبول المعلقة في أعناق الرجال، كما يتقدم الجميع رجل يحمل بوق أسمه (الحنبا) مصنوع من قرون نوع من أنواع البقر الوحشي يُدعى (عجزين)، ويكون ذلك البوق مخروطاً من الأعلى وله صوت عالي ليفتح الناس الطريق أمام موكب الملك، ويبلغ أحد المؤرخين في ارتفاع صوت ذلك البوق ليقول أنه يسمع من مسافة نصف يوم (٢٤ كم)^(٥).

= الحبشة (عمدا صيون) ووضع بدلاً عنه أخيه (صبر الدين) سنة ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م والذي وقع في الأسر أيضاً ليأتي بعده أخاه (جمال الدين). يُنظر: المقرئزي، الامام، ص ٩.

(١) العمري، مسالك الابصار، ص ٣٧.

(٢) الذراع: وهو أحد مقاييس الطول، ويوجد عدة أنواع من الاذرع تختلف عن بعضها حسب كل بلد، فهناك ذراع مصرية وذراع استانبولية وذراع البريد وذراع البر، إلا أن أقرب شيء لها لكون الكرسي مصنوع من الحديد هو ذراع الحديد والذي يساوي (١٨٧ سم). يُنظر: هنتس، المكايل والأوزان، ص ٨٣-٩٣.

(٣) الجتر: وهي مظلة أو قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب وعادةً ما تُحمل على رأس الملك في موكب الصيد. يُنظر: القلقشندي، صبح الأعشى: ٨-٧/٤.

(٤) الشبابة: وهي آلة موسيقية. يُنظر: القلقشندي، صبح الأعشى، هامش رقم (١): ٣١٨/٥.

(٥) العمري، مسالك الأبصار، ص ٣٨.

النتائج :

١ - رغم بُعد افريقيا جنوب الصحراء عن مركز الخلافة الإسلامية إلا انها كانت خاضعة لقوانين التأثير والتأثر نتيجة وصول الإسلام وحضارته إليها على ايدي التجار والدعاة والمهاجرين .

٢ - على الرغم من أن الإسلام هو الحد الفاصل بين التخلف والتقدم الحضاري، إلا أن مراكز المدن والممالك الوثنية في افريقيا جنوب الصحراء كانت تمتلك نوع من التقدم الحضاري ولاسيما في مجال البحث وهو مجالس ومواكب الملوك والحكام بسبب ما تمتلكه تلك الممالك من ثروات ولاسيما في مجال توفر المعادن وفي مقدمتها الذهب .

٣ - أظهرت مواكب ومجالس حكام تلك البلاد حرص أولئك الحكام على العدل، فاعلّب مجالسهم كانت لغرض لقاء الرعية وحل مشاكلهم، والأمر ذاته ينطبق على المواكب التي كانت تخرج للتجول في السوق وتتوقف كلما تجمع الناس ليستمع منهم السلطان .

٤ - بالغت الكثير من مجالس السلاطين في افريقيا جنوب الصحراء في إظهار ما تمتلكه الدولة من خيرات زراعية وصناعية وتجارية تميزها في بعض الأحيان على دول وممالك إسلامية مغربية ومشرقية .

٥ - لم يكن الحاكم في افريقيا جنوب الصحراء متفرداً في مجالسه أو في خروجه للعامة، فقد أشرك أغلب حاشيته وأركان دولته في تلك المراسيم، فلم يخرج أو يجلس لسماع رعيته أو للاحتفال إلا والقاضي والحاجب والترجمان وقادة الجيش والأمراء وأبناءؤهم ووزرائه معه يجلسون أو يمشون في حالة خروجه وهم على يمينه أو شماله .

٦ - عمد سلاطين بلاد السودان (افريقيا جنوب الصحراء) من خلال المراسيم السلطانية في بلادهم إلى نقل صورة حسنة عن تلك البلاد، وإظهار مواطن القوة والغنى فيها أمام حكام البلاد الإسلامية الأخرى ولاسيما في مصر والمغرب الإسلامي، وظهر ذلك جلياً في موكب منسا موسى خلال رحلته للحج .

٧- كان للرحلات والسفارات دور كبير في نقل صورة المغرب والمشرق الإسلامي فيما يتعلق بموضوع البحث إلى بلاد السودان (افريقيا جنوب الصحراء)، وخير مثال على ذلك رحلة وسفارة ابن بطوطة إلى المنطقة .

- المصادر والمراجع :
- الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحسني .
- ١- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، (بيروت : ١٤٠٩هـ) .
- ابن بطوطة، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)
- ٢- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، (الرباط : ١٩٩٧) .
- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز .
- ٣- المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، (بيروت: ١٩٩٢) .
- الجاحظ، أبو عثمان بن عمر بن بحر البصري (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) .
- ٤- التاج في أخلاق الملوك، تحقيق : احمد زكي باشا، (القاهرة : ١٩١٤م) .
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم .
- ٥- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق : إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة (بيروت: ١٩٨٠)
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) .
- ٦- صورة الأرض، دار صادر (بيروت : د/ت) .
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) .
- ٧- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (بيروت: ١٩٥٦) .
- السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر (ت ١٠٦٦هـ / ١٦٥٥م) .
- ٨- تاريخ السودان، وقف على طبعه : هوداس (باريس : ١٩٦٤م) .
- ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ / ١٢٧٩م) .
- ٩- كتاب الجغرافيا، (بيروت: ١٩٧٠) .
- السلاوي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري (ت ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م) .

الثقافية (بغداد: ١٩٨٦).

المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م).

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، حققه: ووضع فهارسه: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، ط ١، (بيروت: ١٩٨٦).

المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).

الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، (مصر: ١٨٩٥م).

ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م).

١- لسان العرب المحيط، ط ٦، دار صادر للطباعة، (بيروت: ١٩٩٧).

الوزان، الحسن بن محمد الفاسي (كان حياً سنة ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م).

وصف افريقيا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط ١، (الرباط: ١٩٨٢).

ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

معجم البلدان، دار الفكر (بيروت: د/ت).

ثانياً: المراجع:

- إبراهيم، رجب عبد الجواد وآخرون.

١- المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من

١٠- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، (الدار البيضاء: د/ت).

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمد (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م).

المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، (القاهرة: د/ت).

ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م).

مسالك الإبرار في ممالك الأمصار، تحقيق وتعليق: مصطفى أبو ضيف أحمد، ط ١، (الرباط: ١٩٨٨).

- القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م).

١٣- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرحه وعلق عليه: نبيل خالد الخطيب، ط ١، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٨٧).

كعت، محمود بن الحاج المتوكل كعت الكرمني التنبكتي (ت ١٠٠٢هـ/ ١٥٩٣م).

تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور، وقف على طبعه هوداس ودولافوس، مطبعة بردين، (أنجة: ١٩١٣).

مؤلف مجهول.

الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون

- الجاهلية وحتى العصر الحديث، دار والمستشرقين، (بيروت: ١٩٦٩).
 الآفاق العربية (القاهرة: ٢٠٠٢).
 - زكي، عبد الرحمن .
 - ارنولد، توماس .
 ٧- تاريخ الدول الإسلامية
 ٢- الدعوة إلى الإسلام، ترجمة : السودانية، المؤسسة العربية الحديثة،
 حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة (القاهرة: ١٩٦١)
 النهضة المصرية، ط ٣، (القاهرة: ١٩٧٠).
 - الشكري، احمد
 - بوركهات، جون لويس .
 ٣- رحلات بوركهات في بلاد النوبة
 والسودان، ترجمة : فؤاد أندراوس، أشرف
 على نشره : محمد شفيق غربال، (القاهرة :
 د/ت) .
 - الدالي، الهادي المبروك .
 ٤- العلاقات بين مملكة مالي
 الإسلامية وأهم المراكز بالشمال الأفريقي،
 مسحوب من شبكة الأنترنت موقع قبائل
 عرب أزواد .
 - زبادية، عبد القادر .
 ٥- ملكة سنغاي في عهد الاسقيين،
 (الجزائر: د/ت)
 - هننس، فالتر
 ١١- المكايل والأوزان الإسلامية
 ٦- الأعلام قاموس تراجم لأشهر
 الرجال والنساء من العرب والمستعربين
 وما يعادها بالنظام المتري، ترجمة : كامل
 العسلي، منشورات الجامعة الأردنية

(عمان: ١٩٧٠).

ثالثاً : البحوث والمقالات:

- نوري، دريد عبد القادر.

١ - دور الحج في ربط السودان الغربي
بمصر بعد القرن الخامس الهجري/
الحادي عشر الميلادي، بحث منشور في
مجلة رسالة الخليج العربي، العدد التاسع،
(الرياض: ١٩٨٣)

رابعاً : الرسائل الجامعية:

- فتاح، فوزية يونس.

١ - التأثيرات الحضارية العربية
الإسلامية على السودان الغربي، أطروحة
دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية
الآداب، (جامعة الموصل: ١٩٩٤).